أسباب الفتن
وكيفية الخروج منها

● **السبب الأول:**

الإعراض عن آيات الله

من أكبر الفتن أن يعرض الإنسان عن الله - عز وجل - وعن رسول الله ﷺ، وعن منهج الله.

فإذا أصيب بالإعراض رماه الله - عز وجل - بالخزي والعذاب في الآخرة..

يقول سبحانه:

﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى** ﴾ (طه: ٤٢١ - ٦٢١)

وأهل العلم يقولون: من أراد الهداية وجدها.

ويقول ابن القيم: من أصلح في شبابه تغمده الله في شيخوخته بالرضوان.

ويقول المثل الصيني: الخط الذي طوله ألف ميل يقطع بخطوة، أي تمشي فيه أنت خطوة، ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (العنكبوت: ٩٦).

ويقول تعالى: ﴿ **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ** ﴾ (الأنفال: ٣٢).

كيف يهتدي من لا يأتي إلى المسجد؟

كيف يهتدي من يسمع كلام الله ويعرض عنه؟

إذًا أخبر - سبحانه وتعالى - أن من أسباب الفتن ومن أعظمها: الإعراض عن منهجه وعن آياته.

قال تعالى في قرية آمنة مطمئنة: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ** ﴾ (سبأ: ٥١ - ٦١).

ونحن أشبه ما نكون بتلك القرية، نحن في نعيم لا يقدره إلا من كتبه وأنزله.

نحن في رخاء وفي أمن وأمان.

فكيف يحفظ هذا الأمن والرخاء؟:

بطاعة الله. بشكر الله. بعدم الإعراض عن منهج الله.

يأتيك أحدهم يعرض عليك همومه وقلقه، فتقول له: هل تصلي الفجر جماعة؟

قال: لا.

فتقول: هل قرأت القرآن؟

قال: لا.

فتقول: هل لك اطلاع على السنة؟

قال: لا.

فكيف يهتدي؟.. أليس هذا هو المعرض!!

● **السبب الثاني:**

نقض العهد مع الله

الأمة التي عاهدت الله لتنصر دينه فتنقض عهدها، بأن تولت إلى حطام الدنيا وإلى الشهوات والمغريات والنزوات: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ (آل عمران: ١٤).

فذهبت إلى تلك المغريات ولم تشكر الله، ولم تقم بميثاقه، فهذا من نقض ميثاق الله وعهده.

ومن نَقْضِ ميثاق الله: استبدالها بشريعته الشريفة شريعة أخرى.

قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة:٤٥).

من نَقْضِ ميثاق الله: موالاة أعداء الله.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (النساء: ٥١).

من نَقْضِ ميثاق الله: الركون إلى أهل المعصية، وتقديمهم على أهل الطاعة.

قال سبحانه: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِه ﴾ (المائدة: ٣١) .

يقول الحسن البصري - رحمه الله -: «يا من دائمًا ينقض الميثاق مع ربه، أما تخشى أن يقول لك في يوم من الأيام: ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾.

موسى رافق الخضر - عليهما السلام - فاعترض عليه ثلاث مرات، قال له في المرة الأولى عندما خرق السفينة: ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ، قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ (الكهف: ٣٧)، فعذره ثم مشى معه، فلما قتل النفس قال: ﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ، قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ، قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ (الكهف: ٤٧، ٥٧)، وانظر هنا فقد قال: "لك".. فقال: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكَ ﴾، وقبل قال: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ فزاد الجار والمجرور تأكيدًا له، فيقول: أما قلت لك قبل قليل ونسيت!!

﴿ قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾، فقال بعدها: ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾.

فانطلقا فلما بنى الجدار الذي يريد أن ينقض اعترض: ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾.. وقف - عليه الصلاة والسلام - وكان يتابع القصة بشغف وبعاطفة قال: «رحم الله موسى استعجل ليته صبر حتى يقص علينا من خبرهما».

كان - عليه الصلاة والسلام - مشتاقًا إلى أن يسمع كثيرًا من القصة، لكن موسى - عليه السلام - استعجل وما صبر.

قال: «رحمه الله ليته صبر حتى يقص علينا من خبرهما».

والشاهد: قال الخضر: ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾، فيقول الحسن: «هذا الخضر ما تحمل ثلاث مرات، وأنت يا من ينقض العهد مع الله في كل يوم مرات، أما تأمن من الله أن يقول: ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾» وهذا للناقضين عهد الله.

يقول الله عن بني إسرائيل: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ (المائدة: ٣١).

قال أهل العلم: «أول نقض: مخالفة نبيهم موسى عليه السلام».

الثاني: عاهدوا الله بترك الربا، ثم أكلوا الربا جهارًا نهارًا.

الثالث: فشى فيهم الزنا وما أنكر منهم منكر.

الرابع: توعدهم الله بعدم الصيد يوم السبت، فصادوا يوم السبت وأخذوا السمك يوم الأحد، وقالوا لا صيد.

الخامس: حرم الله عليهم شحوم الميتة، فجملوه وباعوه وأكلوا ثمنه.

إلى غير ذلك من نقض العهود.

قال: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ ﴾، فهم ملعونون على كل لسان نبي مرسلٍ، وكل ملك مقرب، وكل ولي صالح.

قال: ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾:

يقول أهل العلم: اليهود المخالفون لو تناطحت جبال الدنيا أمام أعينهم ما اتعظوا؛ ولذلك لو أنذرت بالكتاب والسنة ليل نهار بعض من يتمادى في المعاصي، ومن يسرف في المحرمات ما ارتدع.

ويقبح في الفتى فعل التصابي

وأقبح منه شيخ قد تفتى

إذا ما لم يزدك العلم خيراً

فليتك ثم ليتك ما علمتَ

وإن ألقاك فهمك في مهاوٍ

فليتك ثم ليتك ما فهمتَ

مشيت القهقرى وخبطت عشوا

لعمرك لو وصلت لما رجعتَ

● **السبب الثالث:**

ترك الاحتساب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من أسباب الفتن أن تصدف الأمة، وتترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ظهريًا، ويعتذر جمهور الناس أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هيئة مسؤولة تقوم بذلك، حتى يقول كل واحد منهم: نفسي نفسي، ولا دخل لي في أمور الناس،

والله يقول: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ، كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ**﴾ (المائدة: ٨٧، ٩٧).

أخبر - عليه الصلاة والسلام - عن بني إسرائيل: «**إن الرجل من بني إسرائيل يلقى الرجل في أول النهار، فيقول: اتق الله ولا تفعل هذه (يعني المعصية)، ثم لا يمنعه أن يكون أكيله وشريبة من آخر النهار**».

وهذا كفعل بعض الناس، يرى أحدهما الآخر على الانحراف والمعصية ولا يمنعه أن يكون صديقه وجليسه وسميره وحبيبه وقريبه.

ويقول سبحانه: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ (آل عمران: ١١٠).

يقول عمر - رضي الله عنه وأرضاه -: «والله لا يتم أول الآية حتى يتم آخرها»، يعني لا نكون خير أمة حتى نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونؤمن بالله.

يقول - عليه الصلاة والسلام - لأحد أصحابه، لأبي ثعلبة الخشني:

«**مر بالمعروف، وانْهَ عن المنكر حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوى متبعًا ودنيًا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه فعليك خاصة نفسك ودع أمر العوام**» كما قال عليه السلام.

والمقصود من ذلك: أن المؤمن عليه أن يأمر بالمعروف، ولكن بالحكمة: ﴿ **ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾.

لماذا يموت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

لماذا يرى أهل المعاصي على الأرصفة وفي السكك والشوارع ولا يؤمرون وينهون؟

فالمساجد تشكو إلى الله من قلة المصلين، فالحي الواحد يكتظ فيه مئات السكان، ولا يصلي في مسجده إلا الأفراد وبخاصة في صلاة الفجر، على الرغم من أن بعض البيوت فيها ثمانية وأكثر ولا يصلي إلا الواحد والاثنان.. أليس هذا منكرًا؟....

أما يعلم الجار بجاره أنه ما صلى في المسجد؟

أما يعلم أن جاره يأكل الربا، ويستمع للغناء، وقد خالف منهج الله فيما أمره ونهاه.

فموت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الفتن التي نعيش فيها الآن، فقد كان أجدادنا كما تعلمون على قلة علمهم، وقلة الوسائل يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولكن أتينا في فترة لا أمر ولا نهي، وانحصر الأمر حتى فشت المعصية.

قبل سنوات فيما يقارب عشرين سنة كما أخبرت بذلك: كان شارب الدخان إذا مر في بعض المدن يوصم بوصمة من الناس، ويوقف ويحاسب على فعله هذا بأنه خالف منهج الله، والآن أصبح أمرًا سهلاً عاديًا يتناوله الناس في المجالس وفي السيارات، وفي المكاتب، وفي بعض الفصول، وأصبح من ينهى عن الدخان كأنه معتوه.

حلق اللحية كان قديمًا كأنه من الكبائر، لكن استمرت الأمة على ذلك وأصبحت ذنوب الأمة أعظم من حلق اللحية، الربا، الزنا، موالاة أعداء الله، التشبه بأعداء الله، الإعراض عن منهج الله، ترك الصلوات. كل هذا أصبح من الكبائر، حتى إن الدعاة الذين يتكلمون في تطويل الثياب وفي حلق اللحى يقال لهم: «ما يعرفون إلا هذه المسائل» ويقال لهم: «ما عندهم فقه ولا بصيرة» بسبب موت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد وصف ﷺ الأمة عندما لا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر كمثل قوم ركبوا سفينة واقتسموا أماكنها، وقام بعضهم بخرق مكانه في السفينة، فإن تركوهم هلكوا وهلكوا جميعًا، وإن نهوهم نجوا ونجوا جميعًا.

• السبب الرابع:

الغفلة عن آيات الله وعدم تدبرها

آيات الله قسمان: كونية، وشرعية.

الكونية: آياته - سبحانه وتعالى - في الكون.

والشرعية: آيات القرآن.

يقع زلزال في الكون، بركان، ريح شديدة، مرض في الناس ويؤولونه للطبيعة.

تقضون، والفُلكُ المقدر ساخرٌ

وتقدِّرونَ، فتَضحكُ الأقدار

دُمرت بعض المدن بزلزال لـمَّا انتشر فيها الفساد فهلكوا في ثوان، ولما أتوا إلى الرأي العام قال حتى بعض المسلمين: انكسار في القشرة الأرضية.

فمن كسرها؟..

ومن قدرها؟..

ومن أرسلها؟..

ومن أنشأها؟..

ومن بدأها؟..

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (الحديد: ٢٢).

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر: ٤٩).

هذه الآيات من آياته - سبحانه وتعالى - ردعًا للناس.

يقول الله: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم: ١٤).

والغفلة تأتي عن آيات الله في الكون يوم يُصدق هؤلاء الملاحدة الذين بنوا قواعدهم على هذا الأمر، حتى فصلوا مثلاً مادة الجغرافيا عن الإيمان، وفصلوا التربية عن الإيمان، وفصلوا علم النفس عن الإيمان، وجعلوا كل ما يحدث للعبد من الطبيعة، وفعل الحوادث والأيام، ونسوا الله - عز وجل - عن ذلك.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٧١) .

والغفلة مرض.. نسأل الله أن يعافينا وإياكم منه، ومن أعظم علامات النفاق.

والمنافق قد يسمع الحديث والموعظة ولكن لا يستفيد ولا يفهم ولا يعقل.

كان بعض المنافقين يصلي مع رسول الله ﷺ ومات على الكفر - والعياذ بالله، فهذا عبد الله بن أبي في الصف الأول يوم الجمعة لكن ختم الله على قلبه ومات كافرًا، وما نفعت فيه شفاعة الرسول ﷺ؛ لأنه غفل عن طريق الهداية، فأصبح عاجزًا أن يفهم الإيمان والإسلام، فكيف يهتدي من لا يستعد للفهم ولا يستعد للتوجه؟

إن بعض الناس عالمٌ في علوم الدنيا وحضارة الدنيا، ولكن لا يعرف في الدين شيئًا، والرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: -كما في الصحيحين-:

«**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**» ومن لا يرد به خيرًا لا يفقهه في دينه، ولا يهديه كتابه، ولا يعلمه سنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

● **السبب الخامس:**

الترف والبذخ المُنسي

نحن نعيش في بذخٍ وترفٍ متجاوزٍ للحدود، ترفٍ مالي، وترفٍ فكري، وترفٍ مادي، وترفٍ حتى في الفراغ، نعيش في الترف، ومن يوازن بين حالتنا نحن في هذه الصفة هذا الجيل، وحال آبائنا وأجدادنا يجد البون الشاسع.

فنحن نعيش في ترف، في مساكننا، والترف في المطاعم، والترف في المشارب، حتى أصبحت من مقاصد الأمة، وأصبح كثير من الناس يعمل من أجل هذا الترف.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً** ﴾ (الإسراء: ٦١) .

أين الذين يملكون الملايين الكثيرة؟!

هل صحيح أن جميعهم اتبع منهج الله في أمواله؟

هل صحيح أن الكثير منهم اتقى الله في هذا المال الذي يكسبه؟

هل صحيح أن الكثير أرشد الإنفاق والأموال وأنفقها في سبيل الله؟

والله لو فعلوا ذلك ما بقي فقير ولا مسكين ولا أرملة، ولكن بعضًا من أصحاب الأموال الكثيرة يعيشون في الثراء، الثراء إلى النجوم، وأناس يعيشون في جوع مدقع، حتى السكَّر لا تجده عندهم وهو من الكماليات.

فأين الملايين؟!!

وأين البذخ؟!!

أين الترف؟!!

تجد هذا الترف الذي انحرف به عن منهج الله، والبذخ الذي أصبح شيكات سياحية يقوده إلى بانكوك وباريس ليعصي بها الله عز وجل.

أصبح عنده سيارات وفلل من الربا، وملابس من الربا.

وأصبح هذا محاربة لله - عز وجل - في مثل بيوت للغناء الماجن، وبيوت للفيديوهات المنحرفة.

أصبح هذا المال يوم لم يرشد بتقوى الله - عز وجل - والخوف من الله مالاً يتبع به سنة قارون. وإلا فالمال إذا لم يرشد ويوجه إلى الخير كان نقمة على صاحبه.

دخل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - الجنة بماله؛ لأنه أنفقه في سبيل الله.

وكان ابن عوف - رضي الله عنه - يملك الألوف المؤلفة لكن أرضى ربه بماله، وأنقذ الأكباد الظامئة، والبطون الجائعة.

الترف هذا إن لم يوجه كان انتكاسًا للشخصية، وكثير من الشباب بالاستقراء عن أحواله نعرف أن سبب إعراضهم عن طاعة الله - عز وجل - من الترف، حتى ترك بعضهم الأعمال الدنيوية، من مزاولة العمل والالتحاق بوظيفة بسبب أنه مترف:

إن الشـــباب والفـــراغ والجـــدة

مـفـســدة للمــرء أي مــفــســدة

فتصور شابًا ما عنده إيمان، ولا يعرف المسجد، ولا يعرف المصحف، ولا يتقي الله ربه، وعنده مال في جيبه، وعنده سيارة فاخرة، وعنده أموال مكدسة، وفلة بهية.

فكيف لا يكون ضائعًا؟.. حتى إننا عجزنا أن نقدم لأمتنا وبلادنا عمالاً لنا، وأصبح العمل عند بعض الناس عارًا، حتى أصبح الدخول إلى المنجرة وإلى تقديم الخدمات للناس عارًا عند بعضهم، وإلا فزكريا - عليه السلام - كان نجارًا، وداود - عليه السلام - كان حدادًا، وما من نبي إلا ورعى الغنم، ولكن هكذا يفعل الترف، يضيع الجيل، ويجعلهم مترهلين كسولين خاملين في الدنيا والآخرة.

السبب السادس:

عدم أخذ العبر من المُثلات

نجد فيمن حولنا من الشعوب المثلات والعظات والعبر، فكم من حروب!!، وكم من مصائب!!، وكم من كوارث.

فبعض الدول ينام أهلها في أمن ورغد من العيش، وتصبح على اجتياح من قبل دولة أخرى، فيُقْتل أبناؤها، وتهدم منازلها، وتدمر حضارتها.

وبعضهم يسلط الله عليهم ريحًا عاصفة تجتثهم وتهدم مساكنهم.

أليست تلك من المثلات؟

يقول سبحانه: ﴿ **وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ** ﴾ (الرعد: ٤٥).

ومن يعرف تاريخ الأمم والشعوب يعرف كيف نكبهم الله نكبات، وأنزل بهم - سبحانه وتعالى - مثلاتٍ؛ لأنهم غيروا منهجه، وما استفادوا من آياته البينات ولم يعتبروا.

● **السبب السابع:**

تلبس الحق بالباطل

بعض الناس يعيش في غبش، فمرة يصلي، ومرة يترك الصلاة.

مرة مع أولياء الله، ومرة مع أعداء الله.

مرة يتلو كتاب الله باكيًا خاشعًا، ومرة يستمع إلى الأغنية الماجنة معربدًا.

مرة بالسواك مع أولياء الله، ومرة بالسجارة مع المنحرفين.

فهذا من اللبس، فهو ليس عنده منهج ولا طريق، وهذه المشكلة يشكوها كثير من البادئين في الهداية، ولو صدقوا مع الله لصدقهم الله: ﴿ **وإن الله لمع المحسنين** ﴾.

● **السبب الثامن:**

العجب بأعمال المعرضين

نحن في هذا القرن لم نقدم شيئًا للبشرية، فلم نقدم الإيمان، ولم نقدم لهم التكنولوجيا.

أما الإيمان فحصرناه نحن في أنفسنا، وعجزنا أن نستقيم على منهج الله، فكيف نقدم الإيمان للناس.

أصحاب الرسول - عليه الصلاة والسلام - قدموا دين الله للناس بفاقتهم وقلة وسائلهم.

من الذي نشر الإسلام في إسبانيا؟

من الذي أوصل الإسلام إلى الهند؟

من الذي بلغ دين الله - عز وجل - إلى السند؟

من الذي أدخل (لا إله إلا الله) إلى كابل؟

من الذي نشر التوحيد في إفريقيا؟

هم أصحاب الرسول - عليه أفضل الصلاة والسلام - لم يملكوا طائرات، ولا سيارات، ولا هواتف، ولا آلات اتصال، ولا تسهيلات، ومع ذلك بلغوا دين الله عز وجل.

ونحن نملك القدرات، ولكن عجزنا في أنفسنا أن نقيم منهج الله، فضلاً على أن ندعو الأمم إلى منهج الله.

الأمم ينادوننا صباح مساء أن نعرض عليهم بضاعتنا من الإيمان، لكن ما فعلنا.

وأما في عالم المادة فلم نقدم شيئًا، كل شيء عندنا مستورد، حتى الطباشير ومساحة السبورة والفوانيس.

فنحن نعرف كيف نأكل ونشرب ونرقد، ونغني ونرقص.

أما أن نقدم للبشرية شيئًا فهذا غير وارد، هم قدموا عالم المادة، وينتظرون منا عالم الروح، ولكن ما فعلنا شيئًا.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾.

ويقول سبحانه: ﴿ **بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ** ﴾.

فهذا العجب بهذه الحضارة الزائفة من الفتن، حتى أصبحنا من هزيمتنا الروحية نرى الخواجة، فنعده ملكًا منزلاً من السماء إلا من رحم ربك.

وقد ركبت مع أحد الأشخاص من أبناء هذه البلاد، وكان قد سافر إلى الخارج، فكان في قلبه مرض، وعقدة نفسية من هذه البلاد، ويقول: «ما زلنا متخلفين في هذه البلاد ورجعيين، فأنا رأيت الخارج، ورأيت الحضارة، فمظهرنا غير حضاري، ولباسنا ليس عصريًا».

ويرى أن نخلع الغترة والطاقية، ونمشي هكذا في الأسواق، كي نكون متوحدين مع العالم، ويرى أن تجلس المرأة بجانب الرجل، ويقول: هل يأكل الرجل المرأة لو جلست بجواره؟ ولكنه نسي أنه لما أتوا بالمظاهر الحضارية نسوا منهج الله، فأصبح الزنا عندهم منتشرًا، والربا، واختلاط الأنساب، والتفكك الأسري، حتى إننا لا نرى أكثر من شخص في سيارة، وحينما سألناهم، قالوا: لأنه لا توجد علاقة بين الأسر، بينهم طلاق وانفصام، لأنهم ما وجدوا روح الإيمان.

أَمنَ المناظر الحضارية أن تقوم المرأة في الصباح وتأخذ الكلب وتغسله بالماء والصابون، وتجلسه بجانبها في السيارة؟..

أم من المناظر الحضارية أن تقوم وترى الفتى والفتاة يقبلان بعضهما ولا يستنكر الناس؟

أم من المناظر الحضارية أن تمر بعشرات من الناس في الحدائق العامة وهم يبولون وقوفًا؟

أم من المناظر الحضارية أن تراه لا يتطهر، ولا يتطيب، ولا يستنجي، ولا يستجمر، ولا يأخذ خصال الفطرة؟

أم من المناظر الحضارية أن تراه يأكل كالكلب بيساره، ويجلس الكلب معه على المائدة؟

أم من المناظر الحضارية أن تمر عليه الشهور وهو لم يغتسل من الجنابة؟

فهذه حضارة المادة، وليست حضارة الروح.

وللشاعر محمد إقبال (شاعر الباكستان والهند) قصيدة بعنوان: (بحثت عنك يا رسول الله في ألمانيا فلم أجدك).

فيقول: بحثت عنك يا رسول الله ولم أجدك، ولم أجد إلا السيارات، والقاطرات، والطائرات، والبنات، ولكن ما وجدت الرحمة والعدل.. أين أنت يا رسول الله؟

● **السبب التاسع:**

عدم إخلاص الولاء والبراء

من هو ولينا؟

الله.. هو الذي - سبحانه وتعالى - كرمنا بهذه الرسالة، ورفع رؤوسنا بها ما بين الناس.. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ﴾ (محمد: ١١).

هذا نسب.. ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩).

فالولاء لله، والله يخبرنا:

من هم أولياؤه؟

ما صفاتهم؟

ما شهاداتهم؟

ما ألوانهم؟

يقول سبحانه: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٦٣).

اسكن في خيمة أو في بيت طين أو في عشة، ولكن كن وليًا لله، مصليًا صائمًا صادقًا، متجهًا إلى الله، فأنت ولي الله، والله وليك.

يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ، وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٦).

فتفاجأ في بعض الأوقات أن رجلاً مؤمنًا يرافق رجلاً كافرًا لا يصلي، وإذا قيل له: لماذا ترافقه؟

قال: هذا صديقي.

قيل له: أترافقه، وتأكل معه، وتحبه، وتنام معه وهو كافر؟

قال: صديقي في العمل، وأنا إذا انفصلت عنه جرحت مشاعره.

سبحان الله..!! عدو لله وأنت تتولاه، بغيض إلى الله وأنت تحبه، متعد على حدود الله وأنت تتقرب منه، يعني ليس لديه لا ولاء ولا براء.

كان السلف الصالح إذا ترك الرجل المسجد هجروه، فالعهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر، فبين المسلم والكافر ترك الصلاة.

وإلى عهد قريب كان في بعض القرى والمدن إذا ترك الرجل الصلاة في المسجد حاسبوه، حتى يذكر أنه في ناحية من النواحي كان إمام المسجد يحاضر الجماعة بعد انقضاء صلاة الفجر، إلا أن رجلاً ترك صلاة الجمعة، فلقيه الإمام بعد صلاة الجمعة، وسأله عن سبب تأخره، فقال: أخبرني القوم أنكم ما تحضرون في صلاة الجمعة، يعني كأنه لم يحضر إلا للتحضير!!

الشاهد: أنه يجب علينا الإخلاص في موضوع الولاء والبراء.

● **السبب العاشر:**

استصغار الذنوب

فهناك من الناس من إذا حدثته عن ذنب قال: هذا سهل يسير، أتحدثنا عن هذا؟!!

وهل هذه قضيتنا؟ فالأمر أسهل مما تتصور، والله غفور رحيم.

وتجد أهل المعصية آمن الناس بالله، وأهل الطاعة أخوف الناس من الله.

يقول الحسن البصري - رحمه الله - عن النفاق: «ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق».

بمعنى أن تارك الصلاة مثلاً إذا أتيت وقلت له: - والعياذ بالله - يا فاسق، مع العلم أن تارك الصلاة كافر عند أهل السُّنة والجماعة، وأفتى أهل العلم أنه لا يصلى عليه إذا مات، ولا يدفن ولا يكفن ولا يغسل، وأن زوجته تخرج من عصمته ولو لم يطلقها، ولا يجوز لها أن تبقى معه مادام يترك الصلاة، ومع ذلك لو قلت له: يا فاسق، قاتلك، ثم إذا ذكرت له تقصيره، قال: «لا.. أنا والحمد لله لست مقصراً، ونحن في بلاد إسلامية، وأنت لو خرجت إلى بلاد الكفر رأيت العجب العجاب، نحن بخير - يعني ما بقي إلا ما خلعنا الثياب!! -، وهذا من استصغار الذنوب واستمرائها».

حتى إن بعض الجيوش العربية كانت تأخذ المصاحف وتمزقها بالأحذية، وقرأت في بعض المذكرات أن أحد المجرمين الكبار العتاة الملاحدة يقول لأحد الدعاة: اذهبوا به إلى الزنزانة.

قال هذا الداعية: يا رب إني مغلوب فانتصر.

قال: ربك لو نزل حبسته معك في الزنزانة ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ (الإخلاص: ١ - ٤).

هذا استصغار الذنوب ومجاهرة الله - عز وجل - بالخطايا.

● السبب الحادي عشر:

طول الأمد في المعصية

فبعض الناس له سنوات في المعصية ولا يريد أن يتوب، وبعضهم عنده خطط خمسية في المعاصي!.. فإذا قيل له: تب إلى الله.

قال: إذا تزوجت إن شاء الله، فيتزوج.. ما لك لا تتوب؟!

فيقول: أحج وأتوب، فمن يوم إلى يوم حتى يلقى الله وهو عاص، وهو متهتك في حدود الله ﴿ **فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ (الحديد: ٦١).

ما يعود!، ولا يتوب!، ولا يدري متى يُؤخذ!، ولكن هكذا يستمر، وهذا موجود في الناس، فإن بعضهم يخطط للتوبة ويسوّف بها حتى يلقى الله وهو نادم خاسر - والعياذ بالله -.

فطول الأمد يجعل القلب مُرانًا عليه من كثرة الذنوب والخطايا؛ ولذلك فإن الشاب الذي في العشرين أسهل في الهداية من الشيخ العاصي الذي في الستين.

فالرسول - عليه الصلاة والسلام - عندما بدأ الدعوة من الذي استجاب له؟

نجدهم الشباب؛ لأنهم ما زالوا قريبين من الحق، لكن الكبار كأبي جهل، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف الذين ران عليهم الكفر والجاهلية، واشتعل في قلوبهم النفاق والإلحاد رفضوا أن يستجيبوا له عليه الصلاة والسلام.

فالله الله في المبادرة بالشباب وصرف الشباب في مرضاة الله - عز وجل - وتمثل مدحه سبحانه وتعالى ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (الكهف: ٣١).

شباب الحق للإسلام عودوا

فأنتم فجره وبكم يسود

وأنتم سر نهضته قديمًا

وأنتم فجره الباهي الجديد

• السبب الثاني عشر:

التذبذب في المواقف

والتذبذب في المواقف يقصد به: عدم معرفة المنهجية، يقول سبحانه وتعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء﴾ (النساء: ٣٤١).

مرة يكون مستقيمًا، ومرة منحرفًا، فلا يدري من أين هو.

وهذه من علامة النفاق، وتجده ما يحمل منهجًا لله - عز وجل - في قلبه، فلذلك يرضي الناس بسخط الله.

عن عائشة - رضي الله عنها - تقول: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: **«من أرضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس، ومن أسخط الناس برضى الله رضي الله عليه وأرضى عليه الناس»**.

مثل ماذا؟..

مثل أنك تمزح بالاستهزاء بالآيات أو بالرسول ﷺ أو بالإسلام حتى تضحك جلساءك، فهذا سخط لله وإرضاء لهم، فيسخطهم الله ويسخط عليك، ونعوذ بالله من الخذلان.

قال سبحانه: ﴿ **وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ، اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ (البقرة: ٤١، ٥١).

والاستهزاء وإرضاء الناس بسخط الله - عز وجل - ظاهرة منتشرة في أهل النفاق، كان مع الرسول - عليه الصلاة والسلام - منافقون في تبوك، فجلسوا يسمرون في الليل فيقول أحدهم: ما وجدنا كقرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أجبن عند اللقاء، يقصد الصحابة - رضي الله عنهم - يقول: كثرة أكل وجبن في اللقاء.

فالله - عز وجل - أخبر الرسول - عليه الصلاة والسلام - بهذا، فدعاهم وأخبرهم أنهم خرجوا من الملة وكفروا بالدين وعارضوا الله.

يقول سبحانه: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ (التوبة: ٥٦، ٦٦).

ويقول سبحانه: ﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (التوبة: ٩٧).

وهذه الآية لها قصة:

جاء رجل من المؤمنين بصدقة كثيرة عند الرسول - عليه الصلاة والسلام - ألوف من المال فوضعها أمامه، فتغامز المنافقون في المسجد.

يقول - سبحانه وتعالى - عن المنافقين: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ (النساء: ٢٤١).

فتغامزوا في المسجد، قالوا: صاحب هذا المال ما أراد إلا رياء وسمعة، فأتى رجل من المؤمنين بحفنة من التمر صدقة فوضعها في المسجد، فقالوا: ماذا تغني هذه الحفنة عن جيش كامل يجهزه الرسول ﷺ؟.

فالله - عز وجل - قال: ﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾.

ويقول سبحانه: ﴿ **وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ، اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ (البقرة: ٤١،٥١).

والعرب كانت تحب الصراحة وتكره المجاملة والنفاق حتى في الجاهلية، يقول أحدهم:

فـــإمـــا أن تـكـون أخـي بـحـقٍ
فـأعـرف منك غَـثّي من سـمـيني

وإلا فـــاطـرحـني واتـخـــذني
عـــدواً أتقـــيك وتـتـقـــيني

فـــإني لو تـخـــالفني شـمـــالي
خِـلافك مـا وصـلت بهـا يميني

إذاً لقـطـعـتـــهـــا ولقلت بيني
كـــذلك أجـتـــوي من يجـتـــويني

● **السبب الثالث عشر:**

نسيان الذكر

من أسباب الفتن نسيان ذكر الله - عز وجل - والانصراف عنه.

يقول - سبحانه - عن بني إسرائيل وعن أمثالهم: ﴿ **تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً** ﴾ (الأنعام: ١٩) .

يعني الشريعة تجعلونها قراطيس، يعني المصحف أصبح عندنا أو عند الكثير قراطيس، يعني مظاهر فقط، ولكن القرآن - يا أيها الإخوة الكرام - ما أنزل إلا ليُعمل به، ما أنزل إلا ليحكم به: ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ (المائدة: ٥٠).

القرآن ليس رقية فقط للمصاريع إذا صرعوا، أو تَلبَّسهم جان نقرأ عليه فقط، أو يقرأ في حفلات الزواج مثل ما يفعل بعض الناس، أو على الأموات، لكن القرآن للحياة، والعجب أن يترك على الرف وأن يهجر وأن يستبدل به غيره هذا من الخزي والدمار والشنار والله المستعان.

يقول سبحانه: ﴿ **فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ، فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنعام: ٤٤، ٤٥).

نسيان الذكر عقوبة يعاقب بها الله - عز وجل - من شاء من عباده، لانحرافهم عن منهجه سبحانه وتعالى.

● **السبب الرابع عشر:**

تقديم الدنيا على الآخرة

يقول عليه الصلاة والسلام: «**والذي نفسي بيده ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تفتح الدنيا فتتنافسوا فيها فتهلككم كما أهلكت الذين من قبلكم**».

ووالله لقد وقع هذا.

هل سمعت بالجدال والشجار بين الأرحام؟!، إلا يوم أن فتحت الدنيا!!

هل كان الرحيم يجلس مع رحمه، والصهر مع صهره، والجار مع جاره بين يدي القاضي في مشكلة قبل أن تفتح الدنيا؟

هل كان الناس يتجادلون على الأراضي وعلى الأموال وعلى خصومات السيارات وعلى المعارض وعلى الدنيا؟.. إلا يوم أن فتحت الدنيا!!

فالناس قبل عشرات السنوات كانوا أنقياء أحباء يجتمعون في بيت واحد، ويجتمعون على سمر وعلى حب، يتزاورون، فلما فتح الله عليهم الدنيا تهالكوا.

ومن قبل لم يكن عندهم أراض، وكان الإنسان عنده بيت وعنده دابة حمار وبقرة وثور، ويذهب في الصباح يحرث في مزرعته، ويأتي في المساء ويجلس مع جيرانه، سمرٌ وحب وصفاء ومزح وزيارات وإخاء، فلما فتح الله عليهم الأراضي والأموال تذابحوا وتناحروا وسجن الكثير منهم، وتقاطعوا في الأرحام، وجلسوا في المشكلات.

مررنا بقرية من قرى الجنوب، وقال لنا أحد الناس في القرية: والله إن صاحب هذا البيت لا يسلم على أخيه شقيقه من عشرين سنة بسبب قطعة أرض!!

أين الإيمان؟

أين معنى الصلاة؟

أين معنى الخوف من الله عز وجل؟

ويقول بعضهم: والله لقد هممت أن أذبح فلانًا.. لماذا؟.. قال: مزارعي أخذها عليٍّ حسيبه الله، ولو يعلم أن المزارع ليست لهذا ولا لذاك!!.

أسد عليَّ وفي الحروب نعامة

فتخاء تنفر من صفير الصافرِ

لذلك فالفقر لا خوف منه، الخوف من الغنى، والتشاحن ما أتى إلا من انفتاح الدنيا، حتى كلام الناس الآن أصبح في الدنيا، فإذا دخلت المجالس وجدت التكلم عن الأسعار، حتى أصبح الناس يتابعون أسعار البترول، فأصبح الذي نعرف أنه لا يقرأ الفاتحة يلاحق سعر البرميل بسبب تعلق الناس بالدنيا، وعدم تعلقهم بما يقربهم من الله، وإلا فلن يموت أحد جوعًا ما دام رزق الله وافراً، ولكنا نخاف والله من الدنيا أن تشتت فيما بيننا كما حدث، ونعوذ بالله من الخذلان والنكوص على الأعقاب.

يقول سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾ (النحل: ١٠٧).

أحبوا الدنيا على الآخرة، حتى إنك لتجد الشيخ في السبعين من عمره ما زال يبني ويراقب البنائين، ويقف بنفسه على حسن العمارة، وحسن الصياغة، كأنه يعيش بعد السبعين سبعين أخرى، فماذا قدم للآخرة؟ وقد رأيت في صحيفة مقابلة مع شيخ عمره مئة وخمس وعشرون سنة وقد تزوج أكثر من ثلاثين امرأة.

ولكن ما سألوه عن الدين شيئًا.. كم تصلي من النوافل؟

كم تذكر الله عز وجل؟

ما عملك اليومي؟

هل استفدت من تجاربك من طول الحياة شيئاً؟

ما الفرق بين الصفة التي عشت فيها، وبين صفة الشكر لنعم الله عز وجل؟

بين حالة الفقر التي عشت فيها وبين هذه الحالة؟

بين الناس الذين عهدتهم وبين هؤلاء الناس؟

ولكنهم سألوه: ماذا يفطر؟.. فقال: يفطر خبزة في الصباح فيها ثلاث كيلو بر، ويقول: ما يأكل من هذه المعلبات شيء، ولذلك يقول عظمي كالحجر، ولا يزال يصعد الجبل.

وهذا طيب، ولكن ما العبر والدروس من مئة وخمس وعشرين سنة.

ابن تيمية عمره ثلاث وستون سنة قدم للأمة أكثر من ثلاث مئة مجلد، قدم للأمة دمه، قدم للأمة علمه، وكثير من الناس ما هو ذكره؟، عبادته؟ صلاته؟ صلاحه؟ إصلاحه؟.. يقول سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْمًا ثَقِيلا**﴾ (الإنسان: ٢٧). واليوم الثقيل الآخرة.

فنحن أجبنا صراحة - لا يسلم من هذا أحد - الدنيا رسخت في أذهاننا واستولت بالحديث على مجالسنا وأصبحنا نخاف، ولما جاءت فتنة الخليج هذه هرع الناس إلى الأسواق إلى الرز والسكر وكدسوها في المخازن كأنهم لا يموتون، ونحن - والحمد لله - من أكثر الشعوب منافذ على البحر من كل جهة، والأمر الثاني أنه كما قيل: لن تأكل أنت وجارك جائع إذا قامت المشكلة أصبح الناس سواسية، والأمر الثالث أين الثقة بموعود الله - عز وجل - والواجب أن نكدس للآخرة كما كدسنا للدنيا من العمل الصالح.